الواجبات ، لان اللغة اذا فقدت ، فقدت القومية ، وتناثر اوصالها ، وتبددت اشلاؤها .

وللشاعر العصري معروف الرصافي كتاب في هذا الموضوع كسره على ثلاثة غرور : ضمن الغر الاول : اصول اللغة العراقية وقواعدها واحكامها ؛ وجعل الثاني مجموع مشاهير اقوالهم من مثل سائر وقول عائر ، وبيت عامر . وابقى مفردات الالفاظ مضمون الغر الثالث . ومن كل ذلك قد اكتفى باللباب ، وترك التوسع في كل من هذه المضامين الثلاثة لمن يريد الامعان فيها والاستزادة منها .

ودونك الان مقدمة هذا التأليف : (ل . ع)

دفع المراق

في كلام اهل العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

ان لله في خلقه عاملين دائبين يخضع لحكمهما كل حادث في جميع احواله واطواره . ونشوءه واندثاره . وهذان العاملان هما الزمان والمكان ، فلا شيء إلّا وهو ربيب في حجريهما ، ورضيع من ثدييهما ، يشب بما غذياه ، ويشيب بما رمياه . ومن ذلك لغات البشر : فانها من اكثر الاشياء خضوعا لحكم هذين العاملين في الرقي والانحطاط . وما اختلاف لغات الامم إلّا نتيجة من نتائج هذين المؤثرين .

ولقد تعاورت اللغة العربية ازمنة وامكنة اوصلتها الى ماهي عليه اليوم من اللهجة المعلومة التي تلوكها افواه العامة لوكا مختلفا باختلاف الاصقاع ، كلهجة اهل العراق . وسورية ، والحجاز . ومصر ، والمغرب وغير ذلك من البلاد المأهولة بالمتكلمين بالعربية .

على ان تأثير الزمان والمكان لم ينحصر من اللغة العربية في تغيير لهجتها فقط . بل قد عم مفرداتها ايضا : فان من مفرداتها ماقد اندثر ولم يبق له في

كلام العامة من اثر ، ومنها ما قد تغير لفظه او معناه او كلاهما تغيرا مختلفا باختلاف الاماكن والازمان : كما قد تكونت فيهـا من المفردات مالم يكن من قبل موجودا في متنها : ولما كانت هـذه المفردات متكونة بحكم الزمان والمكان كانت مختلفة ايضا باختلافهما . ففي كلام العراقي منها ماليس في كلام السوري، وفي كلام السوري ما ليس في كلام المصري : وهكذا .

غير اننا نجد لهذين المؤثرين في اللغة العربية اثرا واحـدا قـد عم جميع المتكلمين بها في جميع الانحاء وهو سقوط الاعراب منها . فهذا الاثر وحده هو الذي نجده عاما في كلام العراقي والسوري والحجازي والمصري وغيرهم .

وان قال قائل : هل يعد هذا التغير الحاصل في اللغة العربية انحطاطا . او يعد اصطفاء وارتقاء ؟

قلنا : ان الجواب على هذا السؤال لايكون إلّا بعد طول نظر واعمال فكر وليس من غرضنا في هذا الكتاب ان نخوض في مثل هذه المسألة العويصة. سوى اننا نقول : لا يجوز الحكم بان كل ماحصل في اللغـة من التغير هو انحطاط وتقهقر الى الورآء كما لايجوز الحكم بان جميع ذلك هو اصطفاء وارتقاء لاننا ان قلنا بالاول كذبنا قانون بقاء الانسب ؛ وان قلنا بالثاني كذبتنا البداهة ومن ذا الذي يستطيع ان يدعي بان سقوط الاعراب من اللغة العربيـة مخالف لقانون بقاء الانسب . وانه ضروري لا بد منه للمتكلم بالعربية . مع اننا نرى العامة تتفاهم تمام التفاهم بكلامها الخالي من حركات الاعراب . فالاولى اذا هو ان نترك الافراط والتفريط فنقول بان هـذا التغير الحادث في اللغة منه ما يعد انحطاطا ومنه ما يعد ارتقاء

ومما لا مرية فيه ان للغة العامية اليوم مزية لاتنكر . وذلك انها على تلاشيها نراها جارية مع الزمان في مفرداتها فهي تنمو كل يوم بالاخذ من غيرها بخلاف العربية الفصحى فان جمودنا فيها واقتصارنا منها على ما نراه في معاجم اللغة قـد رماها بالتوقف عن النمو حتى اصبحت متأخرة عن لغات الامم الحاضرة على رغم ما اختصت به من المزايا التي خلت منها تلك اللغات .

ومهما كان فليس هذا البحث من موضوعنا هنا فلنضرب عنه صفحا . وانما

غرضنا في هذا الكتاب هو ان نضبط لغة العامة بما يلزم من الضوابط الصرفية والنحوية لاسباب :

الاول ان يكون ذلك كمقدمة لمن اراد ان يبحث بحثا تاريخيا عن اللغة العربية وما طرأ عليها من الطوارىء التي اثرت فيها وتصنيف ما حدث فيها من التغييرات المختلفة باختلاف الازمنة والامكنة . والمقايسة بين حاضرها وغابرها ليعلم هل تلك التغيرات هي انحطاط في اللغة او هي ارتقاء فيها .

الثاني : تسهيل التفاهم بين اهل البلاد المختلفة فيسهل على السوري مثلا فهم كلام العراقي ، وعلى العراقي فهم كلام السوري والحجازي ، لكني لم اتكلم هنا إلّا عن لغة اهل العراق فقط . وعسى ان يكتب بعض السوريين ما يسهل به على العراقي فهم كلام السوري . على ان لغة اهل العراق لا تخالف لغة اهل نجد والحجاز إلّا قليلا ومخالفتها للغة السوريين اظهر من مخالفتها للغة الحجازيين وقد اجتمعت مرة في حلب الشهباء برجال من اعيانها في مجلس حاشد فكان احدهم اذا وجه إلي الكلام غير لهجته وكاد ني بما يقرب من العربية الفصحى : فافهم كلامه ولكنه عند ما يكلم غيري من الحلبيين بلهجتهم الخاصة لم اكن افهم منه تمام الفهم : فكنت استعيد منه بعض الكلام لافهمه . وذهبت مرة في حلب ايضا الى السوق ولما اردت العود الى محلي تشابهت علي الطرق ؛ فسألت بعض المارين : من اين الطريق الى محل كذا فقال لي : «سوي» فلم افهم ما اراد وكرهت ان اقول له : اني لم افهم معنى « سوي »

الثالث : تنبيه الافكار الى ادبيات العوام ؛ فان الادبيات الخاصة بالعوام موجودة عند جميع الامم . وتختص ادبيات العامة بانها هي الواسطة الوحيدة لمعرفة ما للسواد الاعظم من الافكار والعادات ؛ فاذا اردت ان تعرف ما هي عواطف السواد الاعظم من كل امة : وما هي عاداتهم التي جروا عليها وافكارهم التي يفتكرون فيها وامالهم التي يمياون اليها فانظر في كلام طغامها وادبيات عوامها .

على ان في ادبيات العامة ما لا يستخف به من الكلام ففي قول قائلهم :

او سقيت [١] الشوك عنبر فط [١] ما يحمل ورد

من المعنى ما لايقصر عن امثال المتنبي وحكمياته ؛ حتى ان الفاظه ايضا تعد من اول طبقة بالنسبة الى اللغة العامية . وعندي ان قول النائحة :

ياهللهالشهر ماقشر [١] ياليه محمدباوله وعمشا بتاليه

لايقصر في باب الرثاء عن قول ابي تمام : كذا فليجل الخطب وليفدح الامر الخ

***

ولما كان هذا الكتاب خاصا بلغة العامة من اهل العراق : وسمته باسم من كلام العامة فسميته « دفع المراق : في كلام اهل العراق » . والمراق كلمة عامية تقع في كلامهم بمعنى الافتكار في الشيء لاجل الخوف منه او لاجل معرفته وحب الاطلاع عليه . وهي بالمعنى المذكور دخيلة في كلامهم ؛ ولها اصل في العربية وهي جمع مرق (بتشديد القاف) . يقال : مراق البطن (بتشديد القاف) : لما رق ولان منه . ومنها اخذ الاطباء لفظ المراقية (بتشديد القاف) التي هي عندهم تطلق على نوع من المالنخوليا التي معناها الخلط الاسود منسوبة الى مراق البطن : الا انهم يخففون ياءها فيقولون : مراقية (بتشديد القاف) ويطلقونها على طرف من الجنون كالهوس . وقد اخذ الاتراك هذه الكلمة فحرفوا معناها ومنهم اخذتها العامة فاستعملوها بالمعنى المذكور آنفا وانما تعمدت استعمال هذه الكلمة في اسم الكتاب ليكون الاسم مطابقا لمسماه . ونسأله تعالى ان يجعله نافعا . آمين

في ١٢ جمادى الاخرة سنة ١٣٣٧ معروف الرصافي

الموافق لـ ٤ شباط ١٩١٩

***

[١] هذه القافات تلفظ بالكاف الفارسية اي كحرف g الفرنسي في كلمة ga